دراسة آراء مفسري الفريقين في الأسباب غير المادية لحالة الشفاء

محمد پورقيومي أردكاني (الكاتب المسؤول)

طالب دكتوراه فرع علم الكلام شيعي - جامعة أميرالمؤمنين (عليه السلام) الأهواز

ardkani313@gmail.com

الدكتور جواد پورروستايي أردكاني

أستاذ مساعد قسم الالهيات ، جامعة يزد – إيران

pourroustaee@yazd.ac.ir

A study on the views of the of Shiite and Sunni ommentators on the immaterial means of the healing phenomenon

Mohammad Pourqayumi Ardakani
PhD student in Shiite theology, Amir Al-Mo'menin University, Ahvaz
(Author)
Supervisor Dr. Javad Pourrostaei
Faculty member of Yazd University - Faculty of Theology

الملخّص :

إن الشفاء حالة مادية يتفق على حدوثها جميع النحل والمذاهب. إن تنوع الأسباب المؤدية إلى حدوث الشفاء لفت انتباه ذوي الفكر للبحث عن كيفية تحقيقه والآلية التي تتم عبره. يتحقق التعافي بعد المرض في حالتين؛ عبر الأسباب المادية والحالة الثانية عبر الأسباب الخارقة للطبيعة المؤثرة في الأمور المادية. هناك آيات في القرآن الكريم تصرح عن إمكانية الشفاء عبر الطريقتين والاستشفاء بهما. يتحدد هدف هذا البحث في دراسة آراء المفسرين من أهل السنة والشيعة لتبيين الأسباب غير المادية لتحقيق ظاهرة الشفاء. يرى المفسرون استناداً إلى آيات القرآن الكريم أن الشفاء من الأمور التي تتحقق مباشرة بيد الله سبحانه وتعالي وكلامه أي القرآن الكريم أو يتحقق كمعجزة بإرادته عز وجل وإذنه ومشيئته كمعجزة من قبل الأنبياء أو ككرامة من قبل الأولياء ممن لديه نفس رباني بتوصله إلى مقام الولاية والكمال. يعتبر تحقق الشفاء من مصاديق التأثير في عالم التكوين ويمكن حدوثه عبر بعض الطرق كالإيمان القلبي والتبرّك والتوسّل بالقرآن والأنبياء وأولياء الله في كل مكان وزمان تتوافر فيه الظروف.

الكلمات الرئيسية: العلاج، الشفاء، الإعجاز، الكرامة، المرض، أولياء

Abstract:

Healing is a material phenomenon whose occurrence is agreed upon by any kind of religion and manner

The variety of factors leading to the occurrence of healing has attracted the desire of thinkers to research the quality and method of its realization. Recovery after illness occurs in two ways; One of these is through material factors and the other is through supernatural means that have an effect on the material world. Verses from the Qur'an affirms healing and the supplication for healing through both of these methods. The purpose of this research is to study the views of Sunni and Shiite commentators in explaining the trans-material means of the phenomenon of healing.

Citing verses from the Qur'an, they believe that healing is something that is done directly by God and His Word, the Qur'an, or by divine will, permission and expediency, by the prophets, the saints, and also every living person who has reached the position of mandate and integrity and it is realized in the form of miracle.

The realization of this phenomenon is an example of influencing the universe and it is possible through such things as Heartfelt faith, seeking blessing and appealing to the Qur'an, prophets and divine elders at any time and place where the conditions are right.

Key words : treatment , healing , Quran , miracle , dignity, disease , saints

المقدمة

١. مسألة البحث:

إن القرآن الكريم قدم برنامجاً كاملاً لغرض تربية الإنسان وتعاليه في جميع جوانب حياته الفردية والاجتماعية والجسدية والنفسية وإحدى المباحث المطروحة في هذا المجال هي التشافي والاستشفاء والتي ذكرت في عدة آيات من القرآن الكريم بما في ذلك المائدة/١١٠؛ آل عمران/٤٩؛ الشعراء/٨٠ و٩٠؛ ويوسف/٩٦؛ والأنبياء/٨٤ و ٨٨؛ والإسراء/٨٢؛ يونس/٥٧؛ وفصّلت/٤٤؛ والنحل/٦٩ وغيرها.

هناك أسباب مادية مؤثرة في التعافي من الأمراض والشفاء كالطعام المناسب ومراعاة صحة الجسم والنفس والرياضة والعقاقير والأدوية الكيمياوية والعسل وغيرها. لكن محط اهتمام البحث الحاضر هو دراسة الأسباب غير المادية المؤدية إلى الشفاء التي ذكرها القرآن الكريم وأيضاً تقييم ومقارنة آراء مفسري الفريقين في هذا المجال. لم يتم تناول موضوع الشفاء بصورة منفصلة من جانب المفسرين بل ذكروه في هامش تفسير بعض آيات القرآن الكريم التي تناولته وقدموا بعض الآراء التي سوف تتم معالجتها.

يحاول هذا البحث أن يقوم بدراسة آراء مفسري السنة والشيعة حول موضوع الشفاء في القرآن وتبيين الأسباب الخارقة للطبيعة المؤدية لهذه الحالة عبر التنقيب في المصادر المتاحة وهي الكتب والبرمجيات والمصادر الالكترونية.

٢. سبب مرض الإنسان

قبل الخوض في شأن الشفاء وأسبابه غير المادية، يبدو من الضروري الإشارة إلى الأسباب وعلل حدوث المرض لدى الإنسان. فيما يخص أسباب الأمراض هناك ثلاثة آراء بين المفسري: يرى البعض كما أن الله سبحانه و تعالى هو سبب صحة الإنسان وعافيته، بطبيعة الحال هو سبحانه أيضاً سبب المرض، فالله جل وعلا هو خالق العافية والمرض في الإنسان (قاضي عبدالجبار،لاتا: ٢٧/١). يرى بعض المفسرين أنه من الممكن أن يكون سبب مرض الإنسان هو الشخص بذاته أو الباري جل جلاله (الطبراني،٢٠٠٨: ٤٩٦/٤). ويرى أكثر المفسرين أن إفراط الإنسان وتفريطه في المطعم والمشرب هو السبب الرئيس للمرض (الالسمرقندي،١٤١٦: ٥٥٧/٢؛ البيضاوي،١٤١٨:

١٤١/٤؛ نظام الأعرج،١٤١٦: ٢٧٤/٥؛ مكارم شيرازي،١٣٧١: ٢٥٧/١٥). ودليلهم على ذلك أن محتوى الآية التي سبقت الآية التي تشير إلى المرض تحدثت عن الأطعمة والأشربة فمن المؤكد أن هناك علاقة بينها وبين الآية التي تتناول المرض والشفاء، كما أن عبارة ،مرضتُ/ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (الشعراء/٨٠) تؤيد القول بأن الإنسان هو المسبب للمرض وفضلاً عن ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (الشوري/٣٠) يعتبر تصديقاً هذا الرأي.

يبدوا أن جميع الحالات والأسباب المؤدية إلى المرض التي تناولها المفسرون، لها علاقة بشكل أو آخر في إصابة الإنسان بالمرض. هناك مؤثرات عدة في إصابة الإنسان بالمرض بما في ذلك قصور الإنسان في رعاية صحته واهماله لبعض الخصائص الموجودة في المسببات الطبيعية وكذلك مشيئة الله سبحانه في تأثير الأسباب وغيرها من المؤثرات، لكن لابد أن لا نغفل أن حكمة الله سبحانه تقتضي في بعض الأحيان أن يصاب الإنسان ببعض المشاكل أو الأمراض لغرض ابتلائة واختباره.

٣. شفاء الله

في الفكر التوحيدي وحسب ما يذكره القرآن الكريم على لسان الأنبياء الكرام والذي يقرره النص بالقبول هو أن الشفاء من الله حصراً وإنما يتم بقدرته ومشيئته سبحانه وهذا ما يستنبط من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (الشعراء/٨٠)، لكن ما هو سبب المرض وكيف يتحقق الشفاء بيد الله جل وعلا؟

يمكننا تصنيف آراء المفسرين حول كيفية الشفاء بيد الله سبحانه في ستة أقسام:

١. يعتقد البعض أن الله خلق لكل داء دواءً، إذن يقدّر الله التعافي والشفاء عبر تناول وتعاطي الدواء (مغنيه،١٤٢٤: ٥٠٢/٥؛ نظام الأعرج،١٤١٦: ٢٧٤/٥). هذا الرأي لا يعني أن المفسرين يحصرون أسباب الشفاء في المؤثرات المادية و ينفون الأسباب غير المادية والخارقة للطبيعة تماماً.

٢. حسب رأي مفسرين آخرين، يمهّد الله سبحانه لحصول الشفاء طريقين؛ مادي وغير مادي؛ أي أنه سبحانه إما يضع في خلد الطبيب التعرف على نوعية المرض وتحديد نوع الدواء الخاص به، أو يلهم المريض كيفية علاج المرض، أو يرتب الأسباب غير

المادية في جسد المريض لتعافيه وتحقيق صحته وإزالة المرض (فضل الله،١٤١٨: ١٢٦/١٧؛ ميداني،١٣٦١ش: ٦٢٩/٨).

٣. يرى آخرون إن الله سبحانه يحدث في جسم الإنسان خصوصية للتغلب على المرض وأفضل علاج هو مقاومة البدن في مواجهة المرض والذي يتحقق عبر تقوية الجسم. النصوص الدينية أيضاً تؤكد هذا الأمر من لزوم تعزيز القوة الجسدية (مدرّسي،١٤١٩: ٦٨/٩).

٤. هناك رأي آخر لبعض المفسرين يقول أن الله يوفّر الأسباب العامة للصحة ويمنحها للمريض (خويي،١٤٣٠: ٣٢/٨) سواء كانت هذه الأسباب مادية أم غير مادية أي خارقة للطبيعة قد تؤثر في تعافي المريض؛ في كلا الحالتين المؤثر الرئيس هو المولى عز وجل وهو الذي يسهل مسار التعافي والشفاء للمريض.

٥. يرى بعض المفسرين أن شفاء المريض يتم عن طريق اسم الله سبحانه "الشافي" (أمين،لاتا: ٢٥٤/٩). أي أن كل اسم من أسماء الله سبحانه أحد مظاهر صفاته، فلذا عندما يتوسل المريض أو احد ذويه بهذا الإسم، يسأل الله سبحانه صفة الشفاء والعافية للمريض، سواء كانت اسبابه مادية أو عبر وسائط غير مادية.

٦. هناك بعض المفسرين يرون أن الله يمن على المريض بالشفاء حسب مشيئته والمصحلة التي تقتضيها إرادته جل وعلا تارة عبر الأسباب الطبيعة كالدواء وعلاج الطبيب، وتارة عبر الطرق الخارقة للطبيعة كالدعاء والتوسل والشفاعة والنذر وغيرها من الأمور الروحانية. وتارة يحدث الشفاء دون هذه الوسائط الطبيعي والخارقة للطبيعة، بل تتم بصورة مباشرة وبأمر منه تعالي "كن" فيتحقق الشفاء (سلطان علي شاه،١٤٠٨: ١٥٦/٣).

في تقييم هذه الآراء الستة يمكننا القول أن الله سبحانه لشفاء المرضى يستخدم جميع الأسباب والوسائط حسب مشيئته وحكمته وربما تحقق الشفاء دون وجود هذه الوسائط حسب ما تقتضيه الحكمة وذلك عبر المشيئة التكوينية. كما أن ظاهر آيات القرآن الكريم والروايات الإسلامية لا تنفي ذلك. إذن في جميع الحالات التي يمن الله على عبده بالشفاء، سواء كان عبر الأسباب المادية أو غير المادية، الدور الرئيس لإذن الله سبحانه ومشيئته والدواء وتشخيص الطبيب وفهم المريض وكشفه للدواء والتوسل والشفاعة

والدعاء و جميع الأمور الأخرى ليست إلا أسباب للاستشفاء. إذن وإن كان سبب المرض في الأغلب يعود للإنسان ذاته، لكن سوف يكون سبب التعافي والعلاج مشيئة الله كما أن الآية الكريمة تصرح بأن الله سبحانه هوالمشافي.

٤. شفاء القرآن الكريم

من الأمور الأخرى التي تسبب الشفاء، "القرآن الكريم" جاء في الذكر الحكيم: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء/٨٢).

إن تلاوة القرآن الكريم والتدبر فيه والامتثال لتعاليم الحياة المذكورة فيه لها آثار نافعة عديدة في الجانب المادي والروحاني بما في ذلك الشفاء وهذه الخصيصة للقرآن مذكورة في هذه الآية الكريمة ويشمل الشفاء القرآني الجوانب المادية والجسدية وكذلك الجوانب الروحانية والنفسية ففي هذه الآية قضيتين: عموم شفاء القرآن وكيفية شفاء القرآن الكريم.

٤. ١. فيما يخص عموم الشفاء من جانب القرأن الكريم هناك عدة وجهات نظر يبديها المفسرون؛ أغلب المفسرين يرون أن القرآن لشفاء المسلمين في الدنيا والآخرة وله أثر في رفع الأمراض من جسمهم وأرواحهم وبعبارة أخرى جاء القرآن ليكون ذهاباً للأمراض الظاهرة والباطنة والعقدية والخُلقية (الطبرسي،١٣٧٢ش: ٦٧٣/٦؛ كاشاني،١٤١٠: ٧٢٨/٢؛ طيب،١٣٦٩ش: ٢٩٧/٨؛ فخر الرازي، ١٤٢٠: ١٣١/٤؛ واحدي،١٤١٥: ٥١٣/٢؛ الطوسي، لاتا: ٥١٣/٦؛ حقّي برسوي، لاتا: ١٩٤/٥؛ قاسمي، ١٤١٨: ٦/ ٤٩٩؛ ابن عاشور،١٤٢٠: ١٥٠/١٤؛ سبزواري،١٤٢٠: ٢٩٥/١).

يرى البعض أن القرآن يؤدي إلى التنوير مقابل الجهل وعمى البصيرة والريب (فخر الرازي،١٤٢٠: ١٣١/٤؛ السمرقندي،١٤١٦: ٣٢٦/٢).

ويعتقد مفسرون آخرون أن القرآن جاء لأمور الدنيا حصراً (ابوالفتوح الرازي،١٤٠٨: ٢٧٧/١٢؛ ماتريدي،١٤٢٦: ١٠١/٧).

وهناك من يرى أن تأثير القرآن في الشفاء للأمراض الجسدية فحسب (ابوحيان،١٤٢٠: ١٠٤/٧).

ومنهم من يعتقد أن القرآن يشفي الأمراض الباطنية (ابوزهره، لاتا : ٤٤٤٣/٨).

والقرآن لدى بعض المفسرين هو السبب لعلاج الفرد والمجتمع من جميع أنواع الأمراض الخُلقية والاجتماعية (مكارم شيرازي،١٣٧١ش: ٢٤٠/١٢).

في تقييم الآراء الستة المذكورة أعلاه يمكن القول؛ بما أن لفظة "شفاء" جاءت في هذه الآية مطلقة دون أي قيود، فبالتالي يبدو أن فائدة القرآن فضلاً عن آثاره وبكراته التربيوة والعقدية والدنيوية والأخروية، يمكن أن يكون سبباً لشفاء الجسم من الأمراض والأدواء حيث يكون مزيلاً للأمراض إلى جانب كونه علاجاً للأمراض الجسمية. فالله سبحانه وتعالى يبعد الكثير من الأضرار والأمور المذمومة، بما في ذلك الأمراض من الناس عبر القرآن الكريم وذلك حسب اقتضاء مشيئته جل وعلا (طوسي، لاتا: ٥١٣/٦؛ الطبرسي،١٣٧٢ش: ٦٧٣/٦؛ واحدي،١٤١٥: ٦٤٥/٢؛ فخر الرازي،١٤٢٠: ٣٨٩/٢١؛ قاسمي،١٤١٨: ٤٩٩/٦؛ آل غازي،١٣٨٢: ٥٥/٢). عندما يأنس الإنسان بكلام السماء ويذوب في وحي الله، تتعزز روحه ويقوى وجوده ويساعده هذا الأمر على التغلب على المرض وبهذه الطريقة يتمكن من دفع المرض عن جسده عبر القرآن الكريم.

هناك بعض الروايات تشير أن القرآن بأكمله وأخرى تشير أن بعض السور بعينها تسبب الشفاء كالحديث الشريف المروي من النبي صلي الله عليه وآله وسلم: «مَن لَم يستَشف بِالقُرآنِ فَلا شَفَاهُ اللهُ تَعالَي» (فخر الرازي،١٤٢٠،ج٣٨٩/٢١). وجاء في حديث آخر: «فَاتحَهُ الكتَاب شفَاءٌ من كلّ دَاء». (الطبرسي،١٣٧٢ش: ٨٧/١) ايضا يروى عنه (ﷺ) أنه قال: «إستَشفُوا بِمَا حَمدَ اللهُ بِه نَفسَهُ قَبلَ أن يحمَدُهُ خَلقُهُ وَ بِمَا مَدَحَ اللهُ بِه نَفسَهُ قُلنَا وَ مَا ذَاك يا نَبي الله قال الحَمدُ للّه وَ قُل هُوَ اللهُ أحَدٌ فَمَن لَم يشفِه القُرآنُ فَلَا شَفَاهُ اللهُ» (السيوطي،١٤٠٤: ٦/١).

و قال أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) في وصف القرآن: «شِفَاءٌ لَا تُخشَي أَسقَامُهُ». (نهج البلاغه، خطبه١٩٨) و عن الباقر (عليه السلام) أنه قال: «لَو قَرأتَ سُورَه الحَمدِ عَلَي مَيتٍ سَبعِينَ مَرَّةً ثُمَّ رَوَ اللهُ فِيه الرُّوحَ مَا كَانَ ذَلك عَجَباً». (كليني،١٤٠٧: ٦٢٣/٢) و عن الصادق (عليه السلام) قال: «مَن نَالَتهُ عِلَّةٌ فَليقرَأ فِي جَيبِه الحَمدَ سَبعَ مَرّاتٍ فَإن ذَهَبَت العِلّه وَ إلّا فَليقرَأهَا سَبعِينَ مَرّهً وَ أنَا الضّامِنُ لَهُ العَافِيه». (ابوالفتوح الرازي،١٤٠٨: ٢٧٧/١٢)

وهناك من الأحاديث تشير أن للقرآن أثر في شفاء آلام الجسم وأشارت إلى خصائص بعض السور في علاج أمراض بعينها، على سبيل المثال يروي عن النبي صلي الله عليه وآله أنه قال:

«علَّمني جبرئيلُ (عليه السلام) دواءً لا أحتاجُ معَهُ إلى طبيبٍ فقالَ بعضُ أصحابِه نُحبُّ يا رسولَ اللَّه أنْ تُعلِّمنا فقالَ (عليه السلام) يؤخذُ بنيسانَ يُقرأُ عليْه فاتحةُ الكتابِ و آيةُ الكُرسيِّ و قُلْ يا أيُّها الكافرونَ و سبِّحِ اسمَ ربِّكَ الأعلى سبعينَ مرَّةً و المُعوِّذتانِ و الإخلاصُ سبعينَ مرَّةً ثمَّ يُقرأُ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ سبعينَ مرَّةً و اللَّهُ أكبرُ سبعينَ مرَّةً و صلَّى اللَّهُ على محمَّدٍ و آلِ محمَّدٍ سبعينَ مرَّةً و سُبحانَ اللَّهِ و الحمدُ للَّهِ و لا إلهَ إلَّا اللَّهُ و اللَّهُ أكبرُ سبعينَ مرَّةً ثمَّ يُشربُ منْهُ جرعةٌ بالعشاءِ و جرعةٌ غدوةً سبعةَ أيَّامٍ متواليات و قالَ النَّبيُّ (صلى الله عليه وآله) و الَّذي بعثَني بالحقِّ نبيّاً إنَّ اللَّهَ يدفعُ عمَّنْ يشربُ هذا الماءَ كلَّ داءٍ و كلَّ أذًى في جسدِه و يُطيِّبُ الفمَ و يقطعُ البلغمَ و لا يتَّخمُ إذا أكلَ و شربَ و لا تؤذيهِ الرِّياحُ و لا يُصيبُهُ فالجٌ و لا يشتكي ظهرَهُ و لا جوفَهُ و لا سُرَّتَهُ و لا يخافُ البرسامَ و يقطعُ عنْهُ البُرودةَ و حصرَ البولِ و لا تُصيبُهُ حكَّةٌ و لا جُدريٌّ و لا طاعونٌ و لا جُذامٌ و لا برصٌ و لا يُصيبُهُ الماءُ الأسودُ في عينَيْهِ و يخشعُ قلبُهُ و يُرسلُ اللَّهُ عليْهِ ألْفَ رحمةٍ و ألْفَ مغفرةٍ و يُخرجُ منْ قلبِه النُّكرَ و الشِّركَ و العُجبَ و الكسلَ و الفشلَ و العداوةَ و يُخرجُ منْ عرقِه الدَّاءَ و يمحُو عنْهُ الوجعَ منَ اللَّوحِ المحفُوظِ و أيُّ رجُلٍ أحبَّ أنْ تحبلَ امرأتُهُ حبِلَت امرأتُهُ و رزقَهُ اللَّهُ الولدَ و إنْ كانَ رجُلٌ محبُوساً و شربَ ذلكَ أطْلقَهُ اللَّهُ منَ السِّجنِ و يصلُ إلى ما يريدُ و إنْ كانَ بهِ صُداعٌ سكنَ عنْهُ و سكنَ عنْهُ كُلُّ داءٍ في جسمِه بإذْنِ اللَّهِ تعالى» (المجلسي، ١٤٠٣: ٦٣/٤٧٧-٤٧٨).

وأيضاً يروى أن رجلاً شكى للنبي (صلى الله عليه وآله) ألماً في حلقه فقال صلي الله عليه وآله: «عليك بقرائه القرآن» (متّقي هندي، ١٤١٩/٥٤٩). وفي حديث آخر عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «فاتحة الكتاب علاج للصرع» (السيوطي، ١٤٠٤: ١/١٥). و قال اميرالمؤمنين (عليه السلام): «إذا إشتكي أحدُكم عينَهُ فليقرأ آيه الكرسي و ليضمر في نفسه أنّها تبرأ فإنّهُ يعافي إن شاءَ الله» (المجلسي، ١٤٠٣: ٩٢/٨٥).

يرى الاستاذ جوادي الآملي أن التشافي بسورة الحمد المباركة أمر مجرب ومقطوع به وقال أن الباحثين أثبتوا أثر صوت القرآن على تخفيض آلام الجسد بعد العمليات

الجراحية (جوادي‌آملي،١٣٩٧ش: ٢٦٣/١؛ طيب،١٣٦٩ش: ٥٨/١). فيمكن لجسم الإنسان التخلص من الأمراض بالتشافي بالقرآن الكريم.

٤. ٢. فيما يخص كيفية الشفاء بالقرآن الكريم هناك عدة آراء لدى المفسرين وقد طرحت جميعاً في إطار نظريتين شاملتين:

يرى أغلب المفسرين عندما يُقرأ القرآن تتم مباركة بين النفس والروح و يستعان بالقرآن الكريم لدفع الأمراض والشفاء منها (طوسي، لاتا: ٥١٣/٦؛ الطبرسي،١٣٧٢ش: ٦٧٣/٦؛ ابوالفتوح الرازي،١٤٠٨: ٢٧٧/١٢؛ سبزواري،١٤٢٠: ٢٩٥/١؛ ماتريدي،١٤٢٦: ١٠١/٧؛ السمرقندي،١٤١٦: ٣٢٦/٢؛ واحدي،١٤١٥: ٢١٣/٢ و ٦٤٥؛ فخر الرازي،١٤٢٠: ٣٨٩/٢١؛ قاسمي،١٤١٨: ٤٩٩/٦؛ ابن عاشور،١٤٢٠: ١٥٠/١٤؛ آل‌غازي،١٣٨٢ق: ٥٥/٢). لم يتطرق المفسرون أن الاستشفاء بالقرآن يتم عبر قراءة المريض نفسه أم يقرأ الآخرون القرآن ويطلبون شفاءه ويتحقق الأمر، لكن بسبب إطلاق لفظ الشفاء في الآية الكريمة وعدم تقييده يتضح أن لا فرق بين الحالتين ويتحقق الشفاء في كليهما.

لكن الرأي الثاني لدي المفسرين يقول أن الاستشفاء بالقرآن الكريم يتم عبر الطرق التالية:

التوسل بآيات القرآن الكريم باصطحاب كل القرآن أو جزء منه (طوسي، لاتا: ٥١٣/٦؛ طباطبايي،١٣٩٠ش: ٢٥٥/١٣؛ طيب،١٣٦٩ش: ٢٩٧/٨)؛ وكتابة آيات الشفاء (النحل/٦٩؛ الإسراء/٨٢؛ الشعراء/٨٠؛ فصّلت/٤٤؛ التوبه/١٤؛ يونس/)٥٧ على إناء سقي المريض من الإناء الذي كتبت عليه آيات القرآن بنية طلب الشفاء (حقّي برسوي، بلاتا: ١٩٤/٥)؛ أو التلاوه والكتابه و حمل القرآن علي نية الشفاء (شبّر،١٤٠٧: ٤٣/٤). أو عبر الرقى والتعويذات وكتابة الأدعية القرآنية وبمسح المريض ومسه القرآن أو شرب الماء الذي غسلت فيه آيات القرآن (ابوحيان،١٤٢٠: ١٠٤/٧). يتم علاج المرض بهذه الطرق التي يتبرك بها المريض بالقرآن الكريم؛ أي أن الله سبحانه وتعالى باقتضاء المصلحة التي يراها لعبادة يزيل عنهم كثير من الأضرار والأمور السيئة بما في ذلك الأمراض عبر تبركهم بالقرآن الكريم.

في سياق تقويم الآراء تجدر الإشارة إلى أن الآية تشير بصراحة أن القرآن هو سبب الشفاء وشفاء القرآن يتضمن الأمراض الجسمية والأمراض الروحية والنفسية والخُلقية سواء في الدنيا وفي الآخرة. وكيفية الانتفاع بالقرآن لدفع الأمراض وإزالتها مؤثرة سواء كانت المباشرة تتم من قبل المريض أو غيره. نفهم من شآن نزول بعض الآيات أن التشافي بالقرآن كان له مكانة مميزة في عصر نزول القرآن وقد عالد النبي (ﷺ) بعض الأمراض الجسدية بالقرآن الكريم فضلاً عن الأمراض النفسية والروحية. إن التشافي بالقرآن ينفع عندما يكون متلازماً مع العقيدة القلبية ومراعاة الآداب والئروف الخاصة بالتبرك به و أن يكون المستفيد عاملاً بالقرآن أيضاً، عندها سوف لا يمكن للمرض أن يقف أمام كلام الله سبحانه وتعالي ويتحقق الشفاء. بعبارة أوضح؛ عندما يتسلح المريض بإيمان تام وعقيدة حسنة وعمل بمحتوى القرآن ويمتثل لأوامره ويطلب الشفاء من كلام الله سوف يزول مرضه أمام كلام الله سبحانه ويتعافى المريض تماماً. أيضاً يمكن للإنسان أن يصفّي نفسه وروحه عبر النية الباطنية والروحانية بالتشافي بالقرآن الكريم ويشعر في بطنان وجوده بهدوء وطمأنينة وهذا الهدوء يتسرى إلى الجسم بسبب العلاقة الوثيقة بين الروح والجسم وحصيلة هذا الترابط هو الشفاء والعافية.

النقطة الهامة الأخرى التي يجدر الاهتمام بها، أن علاج الأمراض بالقرآن لا يتعارض مع مراجعة الطبيب واستعمال الأدوية وقلما تناول المفسرون هذا الجانب في سياق تفسير الآية المشار اليها ويرى عدد قليل منهم أن سنن الحكة الهية تقتضي أن كل شيء لابد أن يجري عبر قنواته الطبيعية وإن كانت الأداة اللازمة للوصول إلى هدف ما متنوعة أو متفاوتة (قاسمي،١٤١٨: ٤٩٩/٦). إذن إذا قام المريض بمراجعة الطبيب واستعمل الدواء الذي وصفه له وكان في نيته أن الله سبحانه خالق هذا الدواء وجعل فيه خصوصية الشفاء فمن المقبول أن يتعافى هذا المريض بواسطة ذلك الدواء بمشيئة الله تعالى وإن التشافي بكتاب الله المجيد لا يتعارض مع مراجعة الطبيب واستخدام الأدوية التي يصفها له، لأن في كل حال، السبب الرئيس لحدوث الشفاء هو الله سبحانه وتعالي؛ سواء كانت مشيئته اقتضت حدوث ذلك عبر آيات القرآن أو الأدوية.

يستفاد من الأحاديث والسيرة النبوية الشريفة أن الخصائص الطبية لآيات القرآن الكريم وسوره تكون ناجزة إلى جانب الأسابب والمؤثرات المادية كالطبيب والدواء، أي

ينبغي أن نطلب الشفاء من الله سبحانه و تعالى إلى جانب مراجعة الطبيب وتعاطي الأدوية. وهناك رواية تشير أن أحد الأنبياء مرض ولم يستعمل الدواء لعلاج نفسه وكان يرى أن الله يشافيه مباشرة فأوحى الله إليه أني لا اشافيك حتي تعالج نفسك بالدواء (المجلسي، لاتا : ٢١١/٨١). والإمام علي (عليه السلام) بعد ما ضُرب طلب طبيباً يهودياً لعلاجه (لسان الملك،١٣٣٧ش: ٢٨٦/٤). وقد استخدم أئمة أهل البيت (عليهم السلام)الأدوية الطبيعة لمعالجة بعض المرضى وما يروى بعنوان طب الصادق وطب الرضا يؤيد هذا الرأي.

٥. شفاء النبي عيسى (عليه السلام)

إحدى الأسباب الأخرى التي أشار إليها القرآن الكريم بصراحة، شفاء النبي عيسى (عليه السلام) وذلك في قوله تعالي ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ (آل عمران/٤٩).

تتضمن هذه الآية عدة آراء للمفسرين نقوم بالبحث عنها ودراستها.

٥. ١. تمتع أنبياء الله (عليهم السلام)وأولياء الله بالولاية التكوينية

يتلخص رأي المفسرين حول ولاية الأنبياء والأولياء التكوينية وشفاءالنبي عيسى (عليه السلام) فيما يلي: إن بعضهم يرون أن فحوى هذه الآية والآيات المشابهة لها آن الأنبياء وأولياء الله يمكنهم أن يتصرفوا في أحوال الكون عند اللزوم وبإذن من الله سبحانه و أمره أن يُحدثوا أموراً خلافاً للمُجريات الطبيعية للأمور، لأن الأفعال المستخدمة في الآية («أخلق»، «أبرئ» و«أحيي») جاءت مبنية للمتكلم ولها صراحة أن هذه الأمور تتم من قبل الأنبياء (وهنا النبي عيسي (عليه السلام)) مباشرة وهم يحققون هذه الأحداث بتصرفهم في الكون (ميبدي،١٣٧١ش: ١٢٣/٢؛ الطبرسي،١٤١٢: ١٧٦/١؛ مكارم شيرازي،١٣٧١ش: ٥٥٨/٢؛ الطبراني،٢٠٠٨م: ٥٢/٢؛ السمرقندي،١٤١٦: ٢١٥/١).

النقطة الهامة الجديرة بالذكر أنهم في ولايتهم التكوينية لم يكونوا مستقلين، بل هذه الأفعال المذكورة في الآيات مقيدة «بإذن الله» أو «بإذني» أي أن الله سبحانه وتعالى يسمح بهذه الأفعال.

لكن أغلب مفسري أهل السنة يرون أن هذه الأفعال (خلق الطير وشفاء المريض وإحياء الميت) يتم عبر دعاء الأنبياء وأولياء الله والله سبحانه وتعالى يستجيب دعائهم في حق هؤلاء الأشخاص؛ أي أن الدعاء كان سبب هذه الأمور وإنما تمت هذه الأمور بيد الله سبحانه. فبالتالي لم يكن للأنبياء تصرفاً مباشراً في الكون عند خلق الطير وشفاء المرضى وإحياء الموتى (الجرجاني،١٣٧٨ش: ٥٠/٢؛ الثعلبي،١٣٧٨: ٧٢/٣؛ الزمخشري،١٤٠٧: ٣٦٤/١؛ ابن جزي،١٤١٦: ١٥٣/١؛ السيوطي،١٤٠٤: ٣٢/٢؛ الآلوسي،١٤١٥: ١٦٢/٢؛ شحاته،١٤٢١: ٥٧٠/٢).

هناك رأي آخر لدى بعض المفسرين حيث يؤكدون أن النبي عيسى (عليه السلام)، زعم أنه يمكنني أن أقوم بهذه الأفعال الغريبة بإذن الله سبحانه لكنه أبداً لم يقم بذلك فعلاً (المراغي، لاتا : ١٦٠/٣).

كما أشرنا سابقاً إن المفسرين يرون أن الأعمال الخارقة للطبيعة إما تتم بصورة مباشرة من قبل الأنبياء والأولياء أو عبر دعائهم. في كلا الحالتين لولا مشيئة الله في تحقق خلق الطير أو شفاء المرضى أو إحياء الأموات، لا يمكن أن تحقق هذه الأحداث من قبل النبي عيسى (عليه السلام)؛ فإذن دور النبي عيسى (عليه السلام) كان لمجرد إثبات نبوته عبر المعجزة وأيضاً إثبات قدرة الله سبحانه في تحقيق الأمور الخارقة للطبيعة وذلك لنزع الذرائع من يد معارضيهم ومكذبيهم وهداية المجتمع إلى الله سبحانه فهذه الأمور لا تتعارض مع التوحيد الأفعالي وخالقية الله سبحانه وتعالى ولا ريب أن موضوع ألوهة النبي عيسى (عليه السلام) مستبعد تماماً في هذا المجال لأن الأمور الخارقة التي ذكرتها الآية الكريمة مقيدة "بإذن الله" وتكرر هذا القيد يعتبر نفياً للذين يظنون أن المسيح هو الله. يسري هذا الأمر في جميع مصاديق المعجزة يحدد ماهو دور روسل الله وماهو دور خالق الكون كالمسبب الرئيس في جميع الأحداث؛ أي أن الأنبياء لهم الإذن في القيام بهذه المعاجز من الله سبحانه والمعجزة هي فعل الله الذي يتم بيد أنبيائه.

الرأي الثالث لا يقدم دليلاً على ما يدعيه فضلاً عن ذلك إن الأفعال التي صرح بها القرآن الكريم، قام بها النبي المسيح (عليه السلام) فعلاً وتحققت في عالم الواقع ولم تكن مجرد مزاعم، وإلا كان ينبغي أن يقيد النبي (عليه السلام) كلامه بقيد من القيود أي يقول: إذا أردتم ذلك مني سأحيي الموتى (طباطبايي،١٣٩٠ش: ١٩٨/٣). الدليل الآخر أننا نرى في سورة المائدة الآية ١١٠ اعتبرت هذه الأفعال كموهبة وهبها الله سبحانة للنبي عيسى (عليه السلام) فظاهر هذه الآيات تتعارض مع ما يدعيه هؤلاء المفسرون (مكارم شيرازي،١٣٧١ش: ٥٥٨/٢). النقطة الأخرى أن الأفعال المذكورة في هذه الآية مضارعة (أخلق، أنفخ، يكون، أبرئ، أحيي، أنبّئ و ...) تدل على استمرار الفعل، إذن يتضح من هنا أن هذه الأمور الخارقة تمت في فترة كان يطلبها الناس منه.

٥. ٢. كيفية شفاء النبي عيسى (عليه السلام) للمرضى

ليس هناك خلاف بين المفسرين أن الشفاء يتم من قبل الله سبحانه وتعالى وتتجلى مشيئته وإذنه عبر ما يقوم به النبي عيسى (عليه السلام) والكل متفقون أن الله سبحانه هو مسبب الأسباب، لكن هناك أراء مختلفة فيما يخص دور النبي عيسي (عليه السلام) في شفاء المرضى كالأكمه والأبرص.

أغلب مفسري أهل السنة إذ يذكرون الأدعية التي دعا بها النبي عيسى (عليه السلام) للمرضى، يرون أن النبي إنما قام بالدعاء لشفائهم وسأل الله سبحانه العافية لهم وقد استجاب الله سبحانه الدعاء بحق المرضى (الثعلبي،١٣٧٨: ٧٢/٣؛ الزمخشري،١٤٠٧: ٣٦٤/١؛ ابن جزي،١٤١٦: ١٥٣/١؛ السيوطي،١٤٠٤: ٣٢/٢؛ الآلوسي،١٤١٥: ١٦٢/٢؛ شحاته،١٤٢١: ٥٧٠/٢).

يرى البعض أن شفاء المرضى تم بواسطة مسهم بيد النبي عيسى (عليه السلام) (الطبراني،٢٠٠٨م: ٥٢/٢؛ السمرقندي،١٤١٦: ٢١٥/١).

والبعض الآخر منهم يرون أن دور النبي عيسى (عليه السلام) في شفائهم كان لمس المرضى بيده إضافة إلى دعائه لهم (الواحدي،١٤١٥: ٤٤٠/١؛ السيواسي،١٤٢٧: ١٥٧/١).

عند لمس المريض تنتقل إليه طاقة روحانية وتعطيه قوة نفسية، لأن الجسم والروح (النفس) بينهما علاقة وطيدة وتقوية الروح تؤدي إلى تقوية الجسم وتساعده على التغلب على القوة التي تضعّف الجسم وتسبب المرض وبذلك تسهّل عليه التعافي

والشفاء. ربما يمكن اعتبار لمس النبي عيسي (عليه السلام) للمريض بأنه علامة لمباركة النبي للمريض وأن ينظر الله إليه برحمته.

في تجميع وتقييم الآراء المذكورة أعلاه يمكننا القول أنه لا يوجد ما يمنع أن يخوّل الله سبحانه للنبي عيسى (عليه السلام) الإذن في التصرف في الكون والتأثر فيه وأنه (عليه السلام) يقوم بهذه المعاجز بإذن من الله، كما أن الألفاظ والأفعال المستخدمة في الآية الكريم كـ"أبرئ" تؤيد هذا الرأي. لا يوجد مبرر أن نقول أن النبي عيسى (عليه السلام) كان يقوم بمجرد الدعاء للمرضى وإذا كان كذلك، فإن الدعاء لم يكن بحاجة الى التقييد "بإذن الله" لأن الدعاء أمر اعتيادي يمكن أن يقوم به أي فرد من الأفراد. فضلاً عن ذلك إن الإشارة إلى شفاء المرضى جاءت إلى جانب خلق الطير وإحياء الموتى وهذا لا يخلو من حكمة ولا يمكن تجاوز هذا الأمر بسهولة؛ فالرأيان الثاني والثالث يمكن الجمع بينهما وليس هناك أي تعارض بين الرآيين.

٥. ٣. معنى "الأكمه" و "الأبرص"

إن المقصود من الأبرص هو المريض المصاب بالداء المعروف الذي يؤثر في الجلد وهناك اتفاق في آراء المفسرين حوله لكن فيما يخص المقصود من "الأكمه" هناك عدة آراء لديهم؛ يرى أغلب المفسرين أن الأكمه هو الفرد المصاب بالعمى منذ ولادته (الطبرسي،١٣٧٢ش: ٧٥٣/٢ و ١٤١٢: ١٧٥/١؛ السمرقندي،١٤١٦: ٢١٥/١؛ الثعلبي،١٣٧٨: ٧٣/٣؛ الزمخشري،١٤٠٧: ٣٦٥/١؛ حقّي برسوي، لاتا: ٣٧/٢؛ الآلوسي،١٤١٥: ١٦٢/٢).

ويرى بعض المفسرين أن المقصود بالأكمه من كان محجوباً عن نور الحق أي أن بصيرته لم تفتح ولا يرى نور لحق ولا يعرف أهله (ابن عربي،١٤٢٢: ١٠٦/١).

يعتقد صاحب الميزان أن الأكمه هو الذي يولد من أمه دون عين وربما يطلق على الفرد الذي كانت لديها عينان ثم يفقد بصره (طباطبايي،١٣٩٠ش: ١٩٩/٣).

يرى المفسرون الآخرون أن الأكمه يعني الشخص الذي لا يرى في الليل لكنه يرى في النهار (فخر الرازي،١٤٢٠: ٥٣/٢؛ ابن عطيه،١٤٢٢: ٤٣٩/١).

لكن أهل اللغة يتفق جلّهم أن "الأكمه" هو الذي ولد من أمه أعمى (ابن فارس،١٤٠٤: ١٣٦/٥؛ راغب اصفهاني،١٤١٢/٧٢٦؛ فيروزآبادي،١٤٠٣: ٣٠٧/٤؛ فراهيدي،١٤٠٩: ٣٨٣/٣؛ ازهري،١٤٢١: ٢١/٦).

على أي حال، ذكرت هذه الآية الكريمة معجزات متعددة للنبي عيسى (عليه السلام) بما في ذلك خلق الطير ونفخ الروح فيه بإذن الله دون وجود بيضة أو جنين لخلقه وأيضاً شفاء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى والإخبار عما يدخر بنو اسرائيل في بيوتهم وتتكرر عبارة "بإذن الله" في الآية مشيرةً أن القيام بهذه المعاجز من جانب النبي عيسى (عليه السلام) يعتمد على إذنه سبحانه و تعالى وأن النبي لم يكن مستقلاً في القيام بها. هذا التكرار ينفي تصور استقلالية النبي في إحياء الموتى وألوهيته بكل صراحة. فيما يخص الشفاء، يبدو أن ليس هنا تعارض فيما إذا كان المسيح (عليه السلام) يدعو الله لشفاء المرضى ويقوم بلمسهم أيضاً وعند ذلك يتحقق شفاؤهم، بعبارة أوضح كان شفاؤهم مطلب النبي قلباً من الله سبحانه ومن المحتم لم يتحقق أي شيء دون عناية الله ومشيئته وملامسة جسد المريض علامة لتوجه النبي وكرامته لذلك الشخص كي ينظر الله اليه برحمته.

٦. شفاء النبي يوسف (عليه السلام)

من حالات الشفاء الأخرى التي تناولها وصرح بها القرآن الكريم، شفاء النبي يوسف (عليه السلام) والتي تشبه الحالة الماضية بأنها صدرت من نبي أيضاً:

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(يوسف/٩٣-٩٦)

فيما يخص هذه الآية، هناك قضيتين: ذهاب بصر النبي يعقوب (عليه السلام) في فراق يوسف وعودة البصر عليه بعدما تبرّك بالقميص الذي أرسله يوسف إليه.

يرى أغلب المفسرين أن النبي يعقوب (عليه السلام) فقد بصره تماماً بسبب حزنه الشديد وبكائه المستمر في فراق النبي يوسف (عليه السلام) وتصرح الآية أنه ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ

﴿ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف/٨٤) (مغنيه،١٤٢٤: ٣٥٣/٤؛ طباطبايي،١٣٩٠ش: ٢٤٣/٤؛ مكارم شيرازي،١٣٧١ش: ٧١/١٠؛ البيضاوي،١٤١٨: ١٧٦/٣؛ ابوحيان،١٤٢٠: ٣٢٤/٦؛ إبن هائم،١٤٢٣: ١٩٤/٦؛ حقّ برسوي، لاتا: ٣١٥/٤؛ الآلوسي،١٤١٥: ٥٠/٧؛ مراغي، لاتا: ٣٦/١٣)، إن ابيضاض العين يعني ابيضاض سواد عينيه وقد تعني أيضاً فتور العينين بحيث يصبح بصره ضئيلاً جداً، لكن بما أن الآية الأخرى تصرح برجوع بصر يعقوب (عليه السلام)، يتضح أن الابيضاض هنا العمى التام (طباطبايي،١٣٩٠ش: ٢٣٣/١١).

يرى البعض الآخر من المفسرين أن يعقوب (عليه السلام) لم يفقد بصره تماماً، بل ضعف بصره وعندما أشرف على اللقاء والوصال بيوسف (عليه السلام) هاج قلبه وأثاره الفرح حيث رجع بصره إلى ما كان عليه وتقر ذلك القوانين الطبية (مكارم شيرازي،١٤٢١: ٢٩٦/٧؛ فخر الرازي،١٤٢٠: ٥٠٧/١٨؛ خطيب،١٤٢٤: ٤٦/٧؛ قاسمي،١٤١٨: ٢١٩/٦؛ آل غازي،١٣٨٢: ٢٥٥/٣).

عندما نمعن النظر في قوله تعالى ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ (يوسف/٨٤) كذلك القرائن الموجودة في الآيات الأخرى كبشارة البشير وإخبار يوسف عن رجوع بصر أبيه عندما يلقون عليه القميص والتدقيق في بعض الألفاظ كـ"بصيراً" و "فارتدّ" التي تعني عودة البصر على ما كان عليه وأيضاً ما قاله يعقوب (عليه السلام) لمن حوله ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (يوسف/٩٦) كلها تؤيد رأي أغلب المفسرين القائلين بأن النبي يعقوب (عليه السلام) فقد بصره تماماً في فراق يوسف (عليه السلام).

لكن فيما يخص رجوع بصر يعقوب (عليه السلام) هناك آراء مختلفة لدى المفسرين:

يرى بعض المفسرين أن المقصود من رجوع بصره هو وصول النبأ عن حالة النبي يوسف (عليه السلام) وفي هذا المعنى لم يطرح موضوع عودة البصر تماماً (ماوردي، لاتا: ٧٩/٣).

يروي ابو حيان أن بعض المفسرين يرون لفظ "بصيراً" جاء هنا للمبالغة، أي لما ألقي قميص يوسف علي وجه يعقوب (عليه السلام)عاد بصره أقوى مما كان عليه سابقاً (ابوحيان،١٤٢٠: ٣٢٤/٦).

يرى أغلب مفسري الفريقين نظرا لكلمة «فَارتَدَّ» التي تعني عودة الشيء إلى ما كان عليه سابقاً فإن «بَصِيراً» هنا تعني عودة بصره الذي كان لديه سابقاً، فالنبي يعقوب فقد بصره في فراق يوسف وفي هذا الحدث عاد بصره عندما لامس قميص يوسف (ابن هائم،١٤٢٣: ١٩٤/٦؛ الطبرسي،١٣٧٢ش: ٤١٠/٥؛ طباطبايي،١٣٩٠ش: ٢٤٣/١١؛ مكارم شيرازي،١٣٧١ش: ٢٤٣/١١؛ البيضاوي،١٤١٨: ١٧٦/٣؛ خازن،١٤١٥: ٥٥٤/٢؛ خطيب،١٤٢٤: ٤٦/٧؛ الآلوسي،١٤١٥: ٥٠/٧؛ نووي،١٤١٧: ٥٤٧/١؛ آل غازي،١٣٨٢: ٢٥٥/٣؛ شحاته،١٤٢١: ٢٣٩/٧).

الاحتمال المطروح في الرأي الأول ضعيف جداً لأن في قوله تعالى ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾ (يوسف/٨٤) تصريح بأنه فقد بصره. أما الرأي الثاني فيحتمل أن يكون لفظ "بصيراً" اسماً فاعلاً لا مبالغةً فإذن لم يكن لدى يعقوب قوة البصر تماماً كي يقوى بصره بسبب القميص (ابوحيان،١٤٢٠: ٣٢٤/٦).

أما عن كيفية عودة البصر إلى عيني يعقوب (عليه السلام)، فإن المتفق عليه بين المفسرين هو الإعجاز وخرق القواعد الطبيعية في هذا الأمر وقد تم بإرادة الله حصراً وحسب أمره «كُن فَيَكُونُ» (مغنيه،١٤٢٤: ٣٥٣/٤؛ طباطبايي،١٣٩٠ش: ٢٤٣/١١؛ الآلوسي،١٤١٥: ٥٠/٧؛ مراغي، لاتا: ٣٦/١٣؛ آل غازي،١٣٨٢: ٢٥٥/٣).

يرى العبض أن السرور العارم والإثارة الناتجة من فرحه في قلب يعقوب عززت قواه النفسية أزالت عنه الضعف في كل وجودة وبالتالي قوي بصره وارتفع الضعف منه. القوانين الطبية أيضاً تؤكد هذا الموضوع أن الفرح والسرور له أثر بالغ في صحة الجسم وتقوية أجهزة البدن (فخر الرازي،١٤٢٠: ٥٠٧/١٨؛ قاسمي،١٤١٨: ٢١٩/٦؛ شحاته،١٤٢١: ٢٣٩١/٧).

هناك عدد من المفسرين يرون السبب في رجوع بصر النبي يعقوب، الخصائص الموجودة في القميص الذي أرسله يوسف (عليه السلام)، منها ١- رائحة الجنة الموجودة في القميص، فإذا ألقي القميص على مريض شفي (واحدي،١٤١٥: ٥٥٩/١؛ زحيلي،١٤١١: ٦٢/١٣). ٢- دعاء النبي يوسف (عليه السلام) على القميص. ٣- استشمام رائحة الحق من القميص (بغوي،١٤٢٠: ٥١٣/٢؛ روزبهان بقلي،٢٠٠٨م: ٢٠٦/٢). ٤- بما أن قميص النبي

يوسف (عليه السلام) كان من حرير الجنة، فكان له الأثر في شفاء عيني يعقوب (عليه السلام) (پاني پتي،١٤١٢: ١٩٩/٢).

نظراً للمباحث التفسيرية المطروحة والألفاظ المستخدمة في الآية (البشير، ألقاه، فارتدّ بصيراً) وأيضاً من الخصائص المذكورة عن القميص الذي أرسله يوسف (عليه السلام) يتضح أن مشيئة الله سبحانه اقتضت أن يشفى بصره عبر ذلك القميص. يعتبر هذا الحدث أمراً خارقاً للطبيعة عندما يكون النبي يعقوب (عليه السلام) متمتعاً بالبصر ثم يفقد هذه القوة وتعود عليه ثانياً. كما يمكن أن السرور الشديد والإثارة الناتجة من الفرح العارم الذي حصل ليعقوب (عليه السلام) كان له أثراً في عودة بصره؛ لكن من البدهي لولا إرادة الله ومشيئته في شفاء بصر يعقوب لا أثر لأي سبب من الأسباب المادية وغير المادية.

٧. نتائج البحث

نلخص آراء المفسرين حول آيات البحث في النقاط التالية:

١- ليس هناك أدنى شك وخلاف فيما يخص الشفاء والاستشفاء، لأن هناك عدد من آيات القرآن تشير إلى هذا الموضوع والأئمة الأطهار لديهم أحاديث ونصائح في هذا الأمر وقد أشرنا إليها في البحث.

٢- إن تحقيق أي أمر خارق للطبيعة بما في ذلك شفاء المرضى يفتقر إلى ثلاثة مبادئ؛ منح الولاية التكوينية من قبل الله سبحانه وتعالى للقائم بالعمل الخارق، وأن يكون مصداقاً لأوصاف الله وصفاته باعتباره خليفة لله، وأن يكون مأذوناً من قبله جل وعلا.

٣- فيما يخص حدوث حالة الشفاء في كلام وسلوك بعض الأنبيا كالنبي عيسى والنبي يوسف والنبي يعقوب (عليهم السلام)حدثت حالات إعجاز وتناول الآيات التي تشير إليها ودرسنا جوانبها التفسيرية.

٤- يرى المفسرون حدوث الشفاء عبر الطرق غير المادية أمراً خارقاً للطبيعة يمكن أن يتحقق بيد الأنبياء كمعجزة أو بيد أولياء الله ككرامة. إنهم يرون أن كل من كان لديه نفساً ربانياً متوصلاً إلى مكانة الولاية والكمال يمكنه أن يؤثّر في الكون بإذن الله تعالى (جوادي الآملي،١٣٩٧ش: ٧٠٢/٥) وإحدى هذه التأثيرات هي الشفاء.

٥- إن للعالم إدارة حكيمة وقادرة لا يمكن لأحد أن يقوم بأدني تأثير دون إرادة الله سبحانه ومشيئته. من المنظور القرآني، إن تأثير مشيئة الله في أعلى المستويات وتقع في طول الأسباب الأخرى. والأفراد والأشياء الأخرى تؤثر تبعاً لمشيئة الله في حدود ما يقتضيه، إذن لو لم تكن هناك حكمة و مصلحة في شفاء المريض، سوف لن يتحقق أي شفاء أو تعافي وأولياء الله والأسباب الأخرى كالقرآن الكريم كلها مجرد وسيط لحصول رحمة الله وفيضه بما في ذلك الشفاء والعافية ومشيئة الله تعالى هي المعتمد والسبب الرئيس لحصول الأمور الخارقة للطبيعة وحدوث المعاجز من قبل الأنبياء.

٦-يتحقق الشفاء والعلاج بقوة الله سبحانه ومشيئته إما عبر الطرق والأسباب الطبيعية المادية كالعسل والدواء والرياضة وغيرها أو عبر الأسباب غير المادية والخارقة للطبيعة كالقرآن والأنبياء والأولياء والأشياء المتبركة وغيرها وفي بعض الحالات يتحقق الشفاء دون أي وسيط بأمر تكويني من الله «كن فَيكونُ».

٧-إن شفاء الله يتم عبر الأسباب والوسائط الخاصة مع تمهيدات أولية كالإيمان والصدق والعقيدة القلبية إلى جانب أعمال خاصة كالتبرك والتوسل كي تحصل المقربة إلى الله تعالى ويتصل العبد بحضرة رب الأرباب وتتحقق الأرضية لنزول الفيض الإلهي.

٨- في حال توافر العقيدة القلبية والنية الباطنية السليمة بالنسبة للقرآن الكريم، فإن هذا الكتاب السماوي يسبب إزالة الأمراض الجسمية والنفيسة والخُلقية والعقدية.

ختاماً يُذكر أن المفسرين يرون أن الشفاء حالة تحدث عبر الطرق والأدوات الخارقة للطبيعة كالقرآن والأنبياء والأولياء. إنهم يرون أن القرآن هو الشفاء التام من جميع الأمراض وحسب ما يستلخص من الآيات المذكورة إن الشفاء يتحقق عندما يقوم المريض بالتشافي بالقرآن بصورة حسنة أي يكون على عقيدة قلبية صادقة وسليمة ومراعاة جميع الشروط الخاصة ويقرأ القرآن ممتثلاً لأوامره ونواهيه ويستعيذ به لإزالة المرض وعلاجه وأن يضعه على موضع المرض؛ إن التوجه إلى القرآن المتضمن ذكر الله وتعظيم الملائكة المقربين ونبذ أعداء الله الشياطين وجميع الشرور والمساوئ تكون نتيجتها الفائدة في الدين والدنيا بما في ذلك حصول عافية الجسم والنفس وإزالة الأمراض من الجسم والنفس. كما أن الأنبياء وأولياء الله وكل من يكون لديه نفساً ربانياً

واصلاً إلى مكانة الولاية والكمال يمكنه أن يؤثر في الكون بما في ذلك الشفاء. إذن تحقيق الصحة والشفاء النفسي والروحاني يحتاج إلى توافر الشروط المناسبة له وهذا الموضوع يتحقق في كل زمان ومكان تتم فيه شروطه اللازمة.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

أولا – الكتب العربية

١. إبن الجزي، محمد بن الاحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، بيروت: شركة دارالأرقم ابن ابي الأرقم، ١٤١٦ق، الطبعة الأولي.
٢. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير و التنوير، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠ق، الطبعة الأولي.
٣. ابن العربي، محمد بن العلي، تفسير ابن العربي، الترجمه، رباب، سمير المصطفي، بيروت: دارالإحياء، ١٤٢٢ق، الطبعة الأولي.
٤. إبن العطية، عبدالحق بن الغالب، المحررالوجيز، بيروت: دارالكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون، ١٤٢٢ق، الطبعة الأولي.
٥. إبن‌الفارس، الأحمد، معجم مقاييس اللغة، التحقيق، هارون، عبد السلام محمد، قم: مكتب الاعلام الإسلامي، مركز النشر، ١٤٠٤ق، الطبعة الأولي.
٦. إبن‌الهائم، احمد بن محمد، التبيان في التفسير لغريب القرآن، بيروت: دارالغرب الإسلامي، ١٤٢٣ق، الطبعة الأولي.
٧. ابوالفتوح الرازي، حسين بن العلي، روض الجنان و روح الجنان، مشهدالمقدسة: العتبة الرضوية، مؤسسة البحوث الإسلامية، ١٤٠٨ق، الطبعة الأولي.
٨. أبوحيان، محمد بن يوسف، البحرالمحيط في التفسير، بيروت: دارالفكر، ١٤٢٠ق، الطبعة الأولي.
٩. ابوالزهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد، قاهرة: دارالفكر العربي، ١٩٩٦م.
١٠. --------، زهرة التفاسير، بيروت: دارالفكر، الطبعة الأولي ، بلا تاريخ.
١١. الأزهري، محمد بن الأحمد، تهذيب اللغة، بيروت: داراحياء التراث العربي، ١٤٢١ق، الطبعة الأولي.
١٢. آل غازي، عبدالقادر، بيان المعاني، دمشق: مطبعة الترقي، ١٣٨٢ق، الطبعة الأولي.

١٣. الآلوسي، محمود بن عبدالله، روح المعاني، عبدالباري عطية، علي، بيروت: دارالكتاب العلمية منشورات محمدعلي بيضون، ١٤١٥ق، الطبعة الأولي.

١٤. البغوي، حسين بن المسعود، معالم التنزيل، بيروت: داراحياء التراث العربي، ١٤٢٠ق، الطبعة الأولي.

١٥. البيضاوي، عبدالله بن العمر، انوارالتنزيل و اسرار التاويل، بيروت: دارالإحياء التراث العربي، ١٤١٨ق، الطبعة الأولي.

١٦. پاني پتي، ثناءالله، التفسيرالمظهري، پاكستان: كويتة، مكتبة الرشدية، ١٤١٢ق، الطبعة الأولي.

١٧. الثعلبي، احمد بن محمد، تفسير الالثعلبي (الكشف والبيان)، بيروت: دارالإحياء التراث العربي، ١٣٧٨ق، الطبعة الأولي.

١٨. الجرجاني، حسين بن الحسن، الاذهان و جلاء الاحزان، تهران: الجامعة، ١٣٧٨ش، الطبعة الأولي.

١٩. حقي البرسوي، اسماعيل بن المصطفي، روح البيان، بيروت: دارالفكر، بلاتاريخ، الطبعة الأولي.

٢٠. خازن، علي بن محمد، التفسير الخازن، بيروت: دارالكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون، ١٤١٥ق، الطبعة الأولي.

٢١. خطيب، عبدالكريم، التفسير القرآني للقرآن، بيروت: دارالفكرالعربي، ١٤٢٤ق، الطبعة الأولي.

٢٢. الخويي، ابوالقاسم، البيان في تفسير القرآن، قم: مؤسسة إحياء آثارالامام الخويي، ١٤٣٠ق، الطبعة الأولي.

٢٣. راغب الإصفهاني، حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، بيروت: دارالشامية، ١٤١٢ق، الطبعة الأولي.

٢٤. روزبهان البقلي، روزبهان بن ابي النصر، عرائس البيان في حقائق القرآن، التحقيق، المزيدي، احمد الفريد، بيروت: دارالكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون، ٢٠٠٨م، الطبعة الأولي.

٢٥. زحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة، دمشق: دارالفكر، ١٤١١ق، الطبعة الثانية.

٢٦. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دارالكتاب العربي، ١٤٠٧ق، الطبعة الثالثة.

٢٧. السبزواري، محمد، ارشاد الاذهان الي تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠ق، الطبعة الأولي.

٢٨. السلطان علي شاه، سلطان محمد بن الحيدر، بيان السعاده في مقامات العبادة، بيروت: مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٨ق، الطبعة الثانية.

٢٩. السمرقندي، نصربن محمد، التفسير الالسمرقندي، التحقيق، العمروي، عمر، بيروت: دارالفكر، ١٤١٦ق، الطبعة الأولي.

٣٠. السيواسي، احمد بن المحمود، عيون التفاسير، بيروت: دار الصادر، ١٤٢٧ق، الطبعة الأولي.

٣١. السيوطي، عبدالرحمن بن ابي البكر، الدرالمنثور، قم: مكتبة عامة آيت الله العظمي المرعشي النجفي، ١٤٠٤ق، الطبعة الأولي.

٣٢. شبّر، عبدالله، الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، كويت: شركة مكتبة الالفين، ١٤٠٧ق، الطبعة الأولي.

٣٣. شحاته، عبدالله محمود، تفسير القرآن الكريم، قاهرة: دار الغريب، ١٤٢١ق، الطبعة الأولي.

٣٤. طباطبايي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،١٣٩٠ش، الطبعة الثانية.

٣٥. الطبراني، سليمان بن الأحمد، التفسيرالكبير، اردن: اربد، دارالكتاب الثقافي، ٢٠٠٨م، الطبعة الأولي.

٣٦. الطبرسي، فضل بن الحسن، الجوامع الجامع، قم: المدرسة، ١٤١٢ق، الطبعة الأولي.

٣٧. ----------، مجمع البيان، تهران: ناصر خسرو، ١٣٧٢ش، الطبعة الثالثة.

٣٨. الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، بيروت: داراحياء التراث العربي، بلاتاريخ، الطبعة الأولي.

٣٩. الطيب، عبدالحسين، اطيب البيان في تفسيرالقرآن، تهران: الإسلام، ١٣٦٩ش، الطبعة الثانية.

٤٠. فخر رازي، محمد بن العمر، التفسيرالكبير، بيروت: داراحياء التراث العربي، ١٤٢٠ق، الطبعة الثالثة.

٤١. فضل‌الله، محمد حسين، من وحي القرآن، بيروت: دارالملاك، ١٤١٩ق، الطبعة الأولي.

٤٢. فراهيدي، خليل بن احمد، العين، قم: الهجرة، ١٤٠٩ق، الطبعة الثانية.

٤٣. فيروزآبادي، مجد الدين، قاموس اللغة، بيروت: دارالكتب العلمية، منشورات محمدعلي بيضون، ١٤١٥ص، الطبعة الأولي.
٤٤. قاضي‌عبدالجبار، ابن الأحمد، متشابه القرآن، قاهره: مكتبة دارالتراث، بلاتاريخ، الطبعة الأولي.
٤٥. قاسمي: جمال الدين، تفسير القاسمي، بيروت: دارالكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون، ١٤١٨ق، الطبعة الأولي.
٤٦. كاشاني، محمد بن المرتضي، تفسيرالمعين، التحقيق، درگاهي، حسين، قم: مكتبة عامة آيت الله العظمي مرعشي النجفي، ١٤١٠ق، الطبعة الأولي.
٤٧. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تهران: دارالكتب الإسلامية، ١٤٠٧ق، الطبعة الرابعة.
٤٨. ماتريدي، ابوالثناء، التمهيد لقواعد التوحيد، بيروت: دارالغرب الاسلامي، ١٩٩٥م، الطبعة الأولي.
٤٩. ماوردي، علي بن محمد، النكت و العيون، بيروت: دارالكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون، بلاتاريخ، الطبعة الأولي.
٥٠. متّقي الهندي، علاء الدين علي، كنزالعمال في سنن الأقوال و الأفعال، التحقيق: الدمياطي، محمود عمر، بيروت: دارالكتب العلمية، ١٤١٩ق.
٥١. المجلسي، محمد باقر، بحارالأنوارالجامعة لدررأخبار الأئمة، التحقيق، العلوي، عبدالزهراء، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ق، الطبعة الثانية.
٥٢. مراغي، احمد المصطفي، تفسيرالمراغي، بيروت: دارالفكر، بلاتاريخ، الطبعة الأولي.
٥٣. مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، قم: دارالكتاب الاسلامي، ١٤٢٤ق، الطبعة الأولي.
٥٤. الميداني، عبدالرحمن حسن الحبنكه، معارج التفكرودقائق التدبر، دمشق: دارالقلم، ١٣٦١ش، الطبعة الأولي.
٥٥. نظام الاعرج، حسن بن محمد، تفسير غرائب القرآن، تحقيق، العميرات، زكريا، بيروت: دارالكتب العلمية منشورات محمدعلي بيضون، ١٤١٦ق، الطبعة الأولي.
٥٦. نووي، محمد، مراح لبيد لكشف معني القرآن، بيروت: ١٤١٧ق، الطبعة الأولي.
٥٧. واحدي، علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، التحقيق، الداوودي/فوان - عدنان، بيروت: دارالقلم، ١٤١٥ق، الطبعة الأولي.

الكتب الفارسية

١. نهج البلاغه، ترجمه: محمد دشتي، قم: نشر الطيار، ١٣٨٦ش، چاپ دوّم.
٢. جوادي آملي، عبدالله، تفسير تسنيم، قم: إسراء، ١٣٩٧ش.
٣. لسان الملك سپهر، ميرزا محمد تقي، ناسخ التواريخ، تهران: اميركبير، ١٣٣٧ش.
٤. مكارم شيرازي، ناصر، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ترجمه، آذرشب، محمدعلي، قم: مدرسة الامام علي بن ابي طالب، ١٤٢١ق، چاپ اوّل.
٥. ----------، تفسير نمونه، تهران: دارالكتب الاسلاميه، ١٣٧١ش، چاپ دهم.
٦. ميبدي، احمد ، كشف الاسرار و عدة الابرار، تهران: اميركبير، ١٣٧١ش، چاپ پنجم.